الفصل الخامس

بناء سلوك الطفل الإسلامي

المبحث الأول : البناء الأخلاقى للطفل .

المبحث الثانى : البناء الجسمى للطفل .

المبحث الثالث : البناء الاجتماعى للطفل .

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

يتشكل سلوك الإنسان حسب مفاهيمه التى يحملها، وهذه المفاهيم تتشكل حسب عقلية الإنسان ونفسيته، فإذا اتحدت القاعدة التى شكلت العقلية والنفسية أنتجا سلوكا مطابقا لهما . وبالتالى جاء سلوكه متزنا مع أفكاره ومشاعره .

فإذا أردنا تصحيح سلوك الطفل دائما، فلا بد من تصحيح عقليته ونفسيته كما سبق بيانه. وإذا لم يتم تصحيح ذلك، فإنه عند ذلك يستجيب استجابة ببغائية، سرعان ما تزول، لأنه لم يتم تصحيح عقليته ونفسيته، أى لم يصحح مفهومه عن السلوك الخاطئ والسلوك الصحيح، لأن تعميق بناء العقيدة والتحاكم إليها فى كل شىء، سواء الأفكار أو الميول، ينتج عنه غالبا سلوك صحيح، منسجم مع فطرته وعقليته ونفسيته .

وسلوك **الطفل الإسلامى يرتكز على ثلاثة أمور** :

الأول : بناء الأخلاق ليتم سلوكه الأخلاقى .

الثانى : بناء جسمه ليتم اكتساب الثقة فى الحركة الاجتماعية .

الثالث : البناء الاجتماعى، ليكتسب **الطفل** سلوكا اجتماعيا سليما صحيحا فى الأسرة والمدرسة والمجتمع .

وكل من الأمور الثلاثة مركب تسلسلى، أى : بمعنى أن الطفل تربى أخلاقه وجسمه حتى ينتج عنه سلوك اجتماعى صحيح، فالطفل غير الأخلاقى سينتج عنه سلوك اجتماعى خاطئ، كما أن الطفل صاحب الجسم الهزيل أو المريض، لن يكتسب الثقة للتفاعل الاجتماعى .

obeikandl.com

المبحث الأول

البناء الأخلاقى للطفل

obeikandl.com

• «من أحسن أدب ولده أرغم أنف عدوه»[1]. [حكمة].

«كاد الأدب يكون ثلثى الدين»[حكمة] الإمام عبد الله بن المبارك[2].

«من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يوقع عنده باطلا، فيوقع فى قلبه شبهة» أبو على الدقاق رحمه الله[3]

(١) نصيحة الملوك (ص١٧٢).
(٢) مقدمة كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ـ رحمه الله.
(٣) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للإمام السبكى ـ رحمه الله ـ (ص٦٩).

obeikandl.com

البناء الأخلاقى للطفل

تمهيد :

الخلق بضم اللام وسكونها : السجية والطبع، كذا فى الصحاح، وذكر القرطبى فى تفسيره : الخلق فى اللغة : هو ما أخذ الإنسان به نفسه من الأدب، لأنه يصير كالخلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم، وهو بالكسر : السجية، والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخلق: الطبع المتكلف، والخيم : الطبع الغريزى[1] .

وبناء على تعريف القرطبى للخلق، فإن الطفل يحتاج لهذا البناء الأخلاقى، وذلك لتكون حركة الطفل الاجتماعية ـ السابق ذكرها فى الباب الثالث ـ سليمة، وهذا الجهد لابد منه؛ لأن عملية الانتقال من الطبع المتكلف، إلى الطبع الغريزى صعبة، وزمنها يمتد حتى عمر الإنسان، وهو يقوم أخلاقه، وبالتالى فإن جهد الوالدين والمربين يكون لازما فى هذه المرحلة الطفلية، التى ذكرنا أنها تتميز بالفطرية، والصفاء، وسرعة التلقى، والاستجابة .

وقد أشار إلى هذا المعنى كبار العلماء، منهم أبو حامد الغزالى كما تقدم ذكره فى بداية الكتاب، ومنهم ابن القيم فى كتابه ـ أحكام المولود ـ حيث قال :

«ومما يحتاج إليه الطفل، أشد الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوّده المربى فى صغره : من حرد[2] وغضب، ولجاج، وعجلة، وخفة مع هواه،

(١) عن : فتح الغفار بشرح المنار لابن نجيم الحنفي، وهو كتاب أصول فقه فى المذهب الحنفي(١/ ٧) .
(٢) الحرد : الاعتزال والتنحي، يقال : حرد يحرد حرودا : إذا غضب، فهو : حارد، وحرود، وحردان .

وطيش، وحدّة، وجشع فيصعب عليه فى كبره وتصير هذه الأخلاق صفات، وهيئات، راسخة له، فإن لم يتحرز منها، غاية التحرز، فضحته لابد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التى نشأ عليها» .

وقد حض العلامة الشيخ محمد الخضر حسين ـ شيخ الأزهر سابقا ـ رحمه الله على أهمية استغلال فترة الطفولة فى غرس الأدب، والخلق الحسن، فقال:

«إن الصبى يولد على الفطرة الخالصة، والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة، بخلق من الأخلاق، نقشت صورته فى لوحها، ثم لم تزل تلك الصورة، تمتد شيئا فشيئا إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس، وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا أنا إذا رأينا فى الغرباء من هو لطيف الخطاب، جميل اللقاء، مهذب الألمعية، لا نرتاب فى دعوى، أنه ممن أنبته الله فى البيوت الفاضلة، نباتا حسنا»[1].

وبقى السؤال : ما هى عناصر البناء الأخلاقى للأطفال؟ وما هى أركان هذا البناء الشامخ؟ من خلال التصفح فى الأحاديث النبوية، وتصنيفها، نجد أنها ترتكز على خمسة أركان نأتى عليها بالتفصيل .

الأساس الخلقى الأول : خلق الأدب :

قال الحافظ ابن حجر : والأدب : استعمال ما يحمد قولا وفعلا، وعبر عنه : بأخذ مكارم الأخلاق، وقيل : الوقوف مع المستحسنات، وقيل : هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل : إنه مأخوذ من المأدبة، وهى الدعوة إلى الطعام، سمى بذلك؛ لأنه يدعى إليه[2] .

وقد سئل الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ عن الأدب[3] فقال : «إنه حسن العشرة»؛

(١) فى كتابه : السعادة العظمى(ص ٦٠) .
(٢) فتح البارى (١٣/ ٣) .
(٣) عن : تنبيه المغتربين للإمام الشعرانى (ص٤١) .

لذا تبرز أهمية الأدب فى المعاملة والعشرة حتى إنه المظهر الخارجى الذى يعبر عن الصغير والكبير، لذلك حمل الطفل عليه، وقصره على ارتداء ثوب الأدب، كان من أولويات التربية الخلقية .

وكما قال الشاعر صالح بن عبد القدوس[1]:

وإن من أدبته فى زمن الصبا	كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا	بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه	حتى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى، عاد إلى جهله	كذا الضنا عاد إلى نكسه

١ ـ ما ورد فى غرس الأدب فى الأطفال :

تتجلى أهمية الأدب وغرسه، ونحله للطفل، أكثر فأكثر، عندما نرى أن الرسولﷺ أعطاه أهمية عظمى، فى البناء الأخلاقى، حتى جعل غرسه فى الطفل، وتعويده عليه، ليصبح طبيعة من طبائعه الخلقية، وسجية من سجاياه الطبيعية، أفضل من عملية الصدقة التى تطفئ الخطيئة، مع ما فى الصدقة من أهمية فى الإسلام. روى الترمذى عن جابر بن سمرة ـ قال : قال رسول الله ﷺ :«لأن يؤدب الرجل ولده، خير من أن يتصدق بصاع» [2].

وإن رسول الله ﷺ يبين للوالدين أن أعظم هدية للطفل هى الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن :

روى الترمذى عن سعيد بن العاص ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ قال : «ما

(١)عن : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٨٦) .

(٢) ضعيف. انظر: ضعيف الجامع رقم (٤٦٤٥) والأحاديث الضعيفة (١٨٨٧) للألباني . وهو عند الترمذى برقم (١٩٥٢) فى البر والصلة، وقال: هذا حديث غريب، وناصح بن علاء الكوفى أحد رواته ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه. انظر جامع الأصول (١/ ٤١٦) ت . الأرناؤوط .

نحل والد ولدًا من نحل، أفضل من أدب حسن»[1]، لذلك كان على المدينى ـ رحمه الله ـ يقول : «توريث الأولاد الأدب، خير لهم من توريث المال، الأدب يكسبهم المال، والجاه، والمحبة للإخوان، ويجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة»[2].

ولعل البعض يغفل عن أهمية الأدب، ويعده من الأمور البسيطة، يمكن التساهل فيها، أو يجوز تناسيها، وما يدرى هذا أنه يهيئ ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على أبيه، كواجب حق الطعام والشراب :

روى ابن ماجه، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال : «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم» . وفى رواية ابن أبى الدنيا : «أحبوا أولادكم، وأكرموا أدبهم» . وفى سنده ضعف، كذا قال د . نجم محقق كتاب (العيال) .

ووعى السلف الصالح أهمية الأدب، ومقداره، وسمو رفعته، فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما[3] ـ يوجه نداءه للوالدين، بخطاب رقيق، يضع لهم معادلة رياضية، ومساواة حسابية، فيقول : «أدب ابنك فإنك مسؤول عنه، ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برك، وطواعيته لك» .

أما لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بالأدب، وأن يصبح سجية طبيعية فى نفس الطفل فلأنه :

«**يكتسب من الأدب الصالح** العقل النافذ، ومن العقل النافذ حسن العادة، ومن حسن العادة الطباع المحمودة، ومن الطباع المحمودة العمل الصالح، ومن

---

(١) فى سنده مجهول وضعيف، وصححه الحاكم، ورده الذهبى عليه بقوله : بل مرسل ضعيف، وقال الترمذي: غريب مرسل، أي: لأن عمرو بن سعيد بن العاص لم يدرك النبى ﷺ فهو تابعي . انظر جامع الأصول (١/ ٤١٦) ت. الأرناؤوط ورواه الإمام أحمد بسند حسن فى مسند المكيين والمدنيين. وفي مسند البصريين : «بنصف صاع».

(٢) عن : تنبيه المغتربين للإمام الشعراني(ص٤١).

(٣) عن : أحكام المولود (ص٢٢٥).

العمل الصالح رضا الرب، ومن رضا الرب الملك الدائم . ويكتسب من الأدب السوء فساد العقل ومن فساد العقل سوء العادة، ومن العادة السيئة رداءة الطبع، ومن الطباع الرديئة سوء العمل، ومن العمل السيئ سوء القالة وغضب الله، ومن غضب الله وسخطه الذل الدائم» [1] .

وهكذا سار السلف الصالح يوجهون أطفالهم إلى أهمية الأدب، ويورثونه لهم، فإلى حياة هؤلاء، هلم سويا، نصغى ونستمع ونتعلم .

ولكى نتعرف إلى أهمية خلق الأدب، أن نرى صورة قلة الأدب وخطورتها، وأنها السبيل أحيانا للمروق من الدين والخروج عنه، وإن الاستهانة بخلق الأدب يؤدى إلى المهالك فى الدنيا قبل الآخرة، وخاصة عندما تكون قلة الأدب مع الله أو رسوله، فإنها تكون الفتنة والضلالة وقد يكون الكفر بعينه، فلننظر ولنعتبر ولنتأدب :

روى مسلم [2] وأبو داود واللفظ له عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قسم رسول الله ﷺ قسما، قال : فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، محلوق، فقال : اتق الله يا محمد، قال : فلما ولى عنه، قال النبى: «إن من ضئضئ هذا وفى عقب هذا، قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية» .

قال الإمام الخطابى فى شرحه « معالم السنن» (٤/ ٣٠٧) :

«الضئضئ : الأصل، يريد أنه يخرج من نسله الذى هو أصلهم، أو يخرج من أصحابه وأتباعه، الذين يقتدون به، ويبنون رأيهم، ومذهبهم، على أصل قوله».

لقد قال ذلك الأحمق كلمته على سبيل التكبر والانتقاص من رسول الله، وعلى سبيل الاستعلاء على رسول الله، واتهمه بالخطأ فى القسمة وعدم العدل، وهو فى

(١) نصيحة الملوك للماوردى (ص١٧٣) .
(٢) انظر روايات الحديث : شرح صحيح مسلم للنووى باب : إعطاء المؤلفة (٧/ ١٦١) .

هيئة منفرة ومنظر قبيح يدل على عدم الاحترام والتوقير لمجلس رسول الله، فنال جزاءه بما يساوى من استكباره .

والويل كل الويل للأصوات التى تخرج بين الفينة والأخرى متبجحة بأعلى صوتها وتقول : إن رسول الله ﷺ أخطأ فى كذا وكذا، فهذا الرجل قال للرسول ﷺ أقل من ذلك، وكانت عاقبة أمره خسرا .

وصدق أبو على الدقاق ـ رحمه الله ـ عندما قال : «من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض، قيض الله له مبتدعا، يوقع عنده باطلا، فيوقع فى قلبه شبهة».

وأما قلة أدب أهل آخر الزمان والتى بدأت تظهر بشكل أكثر عند من لا خلاق لهم، فقد حددهم الحديث النبوى الآتى :

روى مسلم عن على ﷺ وكرم وجهه ـ قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة[1]، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«سيخرج فى آخر الزمان قوم، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة» .

قوله : (أحداث الأسنان سفهاء الأحلام) : معناه : صغار الأسنان صغار العقول . (يقولون من خير قول البرية) معناه فى ظاهر الأمر كقولهم : لا حكم إلا لله، ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى والله أعلم، (فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى

(١) بفتح الخاء وإسكان الدال هو الأفصح، ويقال : بضم الخاء ويقال: بضم الخاء وفتح الدال ثلاث لغات مشهورات، قاله النووى فى شرح صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

قتلهم أجرًا) هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة، وهو إجماع العلماء[1].

ولنا وقفة مع (قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون : من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم) .

فهم قوم وليسوا أفرادا، وهم أحداث الأسنان : صغار فى العمر وليسوا كبارا، سفهاء الأحلام : صغيرو العقل، وخفيفو العقل، يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم: أى لا يتفاعلون مع القرآن تطبيقا وعملا، وإنما يعتمدون على الرياء فى تلاوة القرآن .

الحديث صحيح وهو من نبوءات ومعجزات سيدنا محمد ﷺ ولكن كيف وصلوا إلى هذا الانحراف؟ وما هى أسبابه؟

فى تقديرى ـ والله أعلم ـ إن السبب الرئيسى عدم أخذهم العلم عن أهله، والقرآن عن القراء، مما حدا بهم أن يفهموا النصوص حسب أهوائهم، بلا ضابط فهم . وبالتالى أدى بهم إلى الاستخفاف والاستكبار على العلماء، مما أدى إلى قلة أدبهم معهم، وخروجهم عن فهم العلماء الراسخين، والفقهاء العاملين، فأدى بهم إلى هذا المنزلق الخطير، بأن خرجوا من الدين بسرعة كالسهم الذى من شدة سرعته يخرق مكان الهدف المرمى نحوه .

لذا الحذر الحذر من الاستخفاف بفهم العلماء والتابعين والصحابة للنصوص القرآنية والنبوية؛ لأن عاقبة ذلك خسران .

والأدب الأدب فإنه الزينة التى يتحلى المرء بها فى كل الأماكن ذكراً كان أم أنثى، كبيرًا كان أم صغيرًا، وجيهاً كان أم وضيعاً.

(١) انظر : النووى فى شرح صحيح مسلم .

٢ ـ نماذج من حياة السلف الصالح فى توريث الأدب لأولادهم :

قال رويم بن أحمد البغدادى لابنه : «يا بنى، اجعل عملك مِلْحًا، وأدبك دقيقا، أى : استكثر من الأدب، حتى تكون نسبته فى سلوكك، من حيث الكثرة كنسبة الدقيق إلى الملح، الذى يوضع فيه، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل مع قلة الأدب» . ذكره الإمام القرافى فى كتابه الفروق (٣/ ٩٦)[١] .

قال إبراهيم بن الحبيب بن الشهيد قال لى أبى : ائت الفقهاء، والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، وأخلاقهم، وهديهم، فإن ذاك أحب إلى من كثير من الحديث[٢]. وذلك حتى يتعلم الابن الأدب مع الحديث، قبل أن يتعلم الحديث بلا أدب، فيؤدى به إلى عدم التأدب مع حديث الرسول ﷺ مما يورث فى قلبه الضلال .

قال بعض السلف لابنه : «يا بنى، لأن تتعلم بابا من الأدب، أحب إلى من أن تتعلم سبعين بابا من أبواب العلم»، وقال أبو زكريا العنبرى [٣] : «علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم، كروح بلا جسم» .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٤٨٦) عن محمد بن عمران الضبى قال: سمعت أبى يحكى قال: مر سفيان الثورى بزياد بن كثير، وهو يصف الصبيان للصلاة، ويقول : استووا، اعتدلوا، سووا مناكبكم وأقدامكم، اتكئ على رجلك اليسرى، وانصب اليمنى، وضع يدك على ركبتيك، ولا تسلم حتى يسلم الإمام من كلا الجانبين .

فقام سفيان ينظر، ثم قال : بلغنى أن الأدب يطفئ غضب الرب [٤] .

---

(١) عن : رسالة المسترشدين للمحاسبي، تحقيق الشيخ : عبد الفتاح أبى غدة (ص٣١) (ط٢) .
(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٧) .
(٣) عن : أدب الإملاء والاستملاء للإمام السمعاني، وكتاب الجامع للخطيب البغدادي (١/ ١٧) .
(٤) وانظر : حلية الأولياء (٧/ ٧٩) .

تلك كانت وصايا السلف الصالح فى توجيه أبنائهم نحو التحلى بخلق الأدب؛ لأنه مفتاح كل شىء : مفتاح للعلم، ومفتاح للخلق الإسلامى، ومفتاح العبادة، ومفتاح العقيدة، ومفتاح السلوك، ومفتاح الحياة؛ لذلك كانت عناية رسول الله ﷺ به كبيرة، واهتمام صحابته والتابعين والعلماء العاملين إلى يوم الدين .

ولكن ما هى أهم الصفات الأدبية التى خصها رسول الله ﷺ فى توجيه الأطفال نحوها، وغرسها فيهم، ونحلهم إياها؟ من خلال الاستقراء فى الأحاديث الشريفة، تم الحصول على تسعة آداب وهى :

٣ ـ أنواع الآداب النبوية للأطفال [1]:

١ ـ الأدب الأول : مع الوالدين :

أورد النووى ـ رحمه الله ـ فى الأذكار، باب : نهى الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادى أباه ومعلمه وشيخه باسمه :

روينا فى كتاب ابن السنى عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ رأى رجلا معه غلام، فقال للغلام : «من هذا؟» قال : أبى، قال : «فلا تمش أمامه، ولاتستسب له» أى : لاتفعل فعلا يتعرض فيه لأن يسبك أبوك زاجراً لك، وتأديبًا على فعلك القبيح ـ وهذا شرح النووى ـ ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه.

وفى مجمع الزوائد (٨/ ١٣٦) أورد نور الدين الهيثمى قصة مشابهة لهذا الحديث، لكنها موقوفة على أبى هريرة، فيها فوائد طيبة نذكرها للفائدة :

فعن أبى غسان الضبى قال: خرجت أمشى مع أبى بظهر الحرة، فلقينى أبو هريرة ﷺ فقال : من هذا؟ قلت : أبى، قال : لا تمش بين يدى أبيك، ولكن امش

(١) يذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ فى كتابه ـ رياض الصالحين ـ فصلا خاصا سماه : كتاب الأدب، فيذكر آدابا كثيرة بحاجة إليها الفرد المسلم، ونظرًا لكون بحثنا عن الأطفال وتوجيهات الرسول ﷺ لهم، اقتصرت على ما ورد بشأنهم؛ ليكون هو الأساس فى هذه المرحلة .

obeikandl.com

خلفه، أو إلى جانبه، ولا تدع أحدا يحول بينك وبينه، ولا تمش فوق إجار ـ أى : سطح ـ وأبوك تحته، ولا تأكل عرقا ـ بسكون الراء : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم ـ قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه .

أ ـ أدب خطاب الوالدين :

أورد القرطبى فى تفسيره : قال أبو البداح التجيبى: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما فى القرآن من بر الوالدين قد عرفته، إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء] ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب : قول العبد المذنب، للسيد الفظ الغليظ[1] . وقد فسر عمر بن الخطاب القول الكريم، فقال : هو أن يقول له : يا أبتاه، يا أماه[2].

وقال تاج الدين السبكى: كنت جالسا بدهليز دارنا فأقبل كلب، فقلت: اخسأ، كلب ابن كلب، فزجرنى الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس كلبا ابن كلب؟ قال : شرط الجواز، عدم التحقير، فقلت : هذه فائدة[3] .

فليكن شعار الأبناء عندما يتعلمون شيئا من الوالدين، أو يستفيدون منهم، أن يقولوا ـ هذه فائدة ـ لإدخال المسرة إلى قلوبهم، وتعويد النفس على التواضع، وفقنى الله وإياك لذلك .

ب ـ أدب النظر إلى الوالدين :

روى الطبرانى ـ أيضا ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا نظر الوالد إلى ولده فسره، كان للوالد عتق نسمة» قيل : يا رسول الله، وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال : «الله أكبر»[4].

---

(١) تفسير القرطبى (١٠/ ٣٤٣) (ط٣)، وتفسير الرازي (٢٠/ ١٩٠) .
(٢) تفسير الرازي (٢٠/ ١٩٠) .
(٣) عن : رسالة المسترشدين (ص١٢٥) (ط٢) تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله تعالى . انظر التحقيق .
(٤) إسناده حسن، قاله الهيثمى (٨/ ١٥٦) .

وأورد المناوى فى (فيض القدير) (٥ / ٤٨٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة، إلا كتب الله له بها حجة، مقبولة مبرورة » .

وأخيرا : نوجه هذا النداء لأحد العلماء الصالحين، وهو يضع طريقة واضحة، لإكساب الطفل معانى الأدب، وهو سلوك الوالدين الأدبى معه :

فقد روى البخارى فى الأدب المفرد[1] عن الوليد بن نمير أنه سمع أباه يقول : «كانوا يقولون : الصلاح من الله، والأدب من الآباء» .

ولكى يزداد الطفل أدبًا ورفعة، فإنه سبق أن ذكرنا نصيحة الآباء فى توصية أطفالهم، بالتزام العلماء الصالحين، واكتساب الأدب منهم، قبل تلقى العلم عنهم، فحتى تتم الفائدة بشكل جيد، يحتاج الطفل أن يتعلم الأدب مع العلماء .

٢ ـ الأدب الثانى : مع العلماء :

ذكرنا استنتاج الإمام النووى ـ رحمه الله ـ للحديث الذى رواه ابن السنى، حيث عنون له فى كتاب الأذكار: «باب نهى الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادى أباه ومعلمه وشيخه باسمه» فقال : «وإن مما ذكرناه عن الأدب مع الوالدين، يماثله الأدب مع العلماء، بل ويزيد؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، فاحترامهم، وتوقيرهم ، وخفض الجناح لهم ، والمسارعة فى خدمتهم، وعدم رفع الصوت فى مجالسهم، واللطف فى معاشرتهم، ولين الجانب لهم، كل ذلك يحتاج لأن يتعوده الطفل» .

وأورد الإمام الغزالى[2] ـ رحمه الله تعالى ـ قول يحيى بن معاذ فى فضل العلماء : «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل : وكيف ذلك؟ قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة» .

---

(١) (١/ ٧٣١) .
(٢) الإحياء (١/ ١١) .

وهكذا تجد أهمية الأدب فى حضرة العلماء وتوقيرهم، وقد ألفت كتب بهذا الشأن، منها ـ أدب الإملاء والاستملاء ـ للإمام السمعانى، ومنها : أدب العالم والمتعلم لابن قتيبة، وغيرهما كثير .

أ ـ ما ورد فى الأدب مع العلماء :

روى الطبرانى عن أبى أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن لقمان قال لابنه : يابنى، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحيى القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر .

وروى الإمام أحمد والطبرانى عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال : «ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه» .

وروى الطبرانى عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة فى الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط» .

ومن الأدب مع العلماء تقبيل أيديهم وخدمتهم :

فعن جميلة أم ولد أنس بن مالك ـ رضى الله عنهما ـ قالت : كان ثابت «أى ثابت البنانى التلميذ المقرب لأنس» إذا أتى أنسا، قال «أى أنس» : يا جارية، هات لى طيبا أمسح يدى، فإن ثابتا لا يرضى حتى يقبل يدى . رواه أبو يعلى، ورجاله موثقون، قاله السمهودى فى جواهر العقدين [1].

وأخرج ابن عساكر عن عمار بن أبى عمار أن زيد بن ثابت ركب يوما فأخذ ابن عباس رضى الله عنهما بركابه، فقال : تنح يابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد : أرنى يدك، فأخرج يده، فقبلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا ﷺ [2].

---

(١) انظر : التراتيب الإدارية(٢/ ٤٣٦) .

(٢) وروى أبو داود : قال زارع ـ وكان فى وفد عبد القيس: «فجعلنا نتبادر بين رواحلنا، فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله» . وعن تميم بن سلمة قال : لما قدم عمر ﷺ الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح، فأخذ بيده فقبلها، قال تميم: كانوا يرون أنها سنة» انظر شرح السنة للبغوى ٦/ ٣٥٥-٣٥٦،فهذه هى السنة لمن يحب التزامها . اللهم وفقنا لذلك .

أورده كنز العمال فى مناقب زيد بهذا اللفظ، وأورد لفظا آخر :

عن ابن النجار أخرج عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه أخذ بركاب زيد ابن ثابت، ثم قال : إنا أمرنا أن نأخذ بركاب معلمينا، وذوى أسناننا .

قال الشيخ عبد الحى الكتانى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (التراتيب الإدارية) (٢/ ٤٣٧) معلقا :

قال شيخ بعض شيوخنا محدث الحجاز ومسنده الشيخ محمد عابد السندى فى رسالته فى تقبيل اليد : قول زيد: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، يؤخذ منه أن تقبيل يد ذى الشرف مأمور به من النبى ﷺ، لأن قول الصحابى : «أمرنا» له حكم الرفع؛ إذ ليس له آمر غير النبى ﷺ، كما حققه : ابن الصلاح، والحافظ ابن حجر، وكلما كان مأمورا به من النبى ﷺ إذا لم يفعله كان آثما، فكل من لم يقبل يد ذى الشرف كان آثما، مخالفا لأمر النبى ﷺ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور]، فإذا كانت هذه الحالة لمن لم يقبل، فما ظنك بمن أنكر التقبيل رأسا كان إثمه أكبر، ووزره أوفر. انتهى .

ثم قال الكتانى : «وقد أفرد الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرى جزءا فى تقبيل اليد، وما ورد فيه، ولى رسالة أفردتها فيمن قبل يد النبى ﷺ، وللشيخ محمد عابد السندى الأنصارى فى الباب رسالة نفيسة وهى عندى» . انتهى كلام الكتانى .

وقد سمعت كلاما مزعجا فى تعليم الطفل تقبيل يد الوالدين والأعمام والعمات والجد والجدات والأقرباء والعلماء، مفاده : إنه تعليم الذل والهوان للطفل فى تعويده ذلك التقبيل .

أقول وبالله التوفيق : إن من يعرف أهمية الأدب يعرف قيمة وأهمية التقبيل، ومن لا يعرف فإن الشيطان ينفخ نفثه فيه، فيستكبر عند ذلك، ويرى نفسه فوق ذلك، وإذا كان أدب التقبيل لليد يكسب الطفل التواضع فقط فذلك من أفضل الأخلاق

الإسلامية، فما بالك وهو يكسبه رحمة وعطف الكبير، ودعاءه له بالخير والبركات، ويؤلف بين القلوب المتنافرة فكيف بالقلوب المحبة، كما يتعرف الصغير لمكانته أنه صغير، فلا يعترض فى مجالس الكبار بكلمات مزعجة، أو بعيدة عن الأدب .

وعن نافع قال: خدمت ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ثلاثين سنة، فأعطى ابن عمر فى ثلاثين ألفا، فقال: إنى أخاف أن تفتنى الدراهم، فأعتقنى [1] .

ويسرى حال الخدمة من نافع إلى أحفاده وأسباطه سلوكا وعملا وأدبا :

روى ابن أبى شيبة فى مصنفة (٩/ ١٠٥) عن عيابة بن رفاعة قال : وضأت ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فقمت عن يمينه أفرغ عليه الماء، فلما فرغ صعد فى بصره، فقال: من أين أخذت هذا الأدب؟! فقلت : من جدى نافع، قال : هنالك الرجل .

ب ـ نماذج من أدب أطفال السلف الصالح مع العلماء :

كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين ثم يجلس، فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فلا يجترئ أحد منهم أن يسأله شيئا، إلا أن يبتدئهم بحديث، أو يجيئه سائل فيستمعون [2]. وقد تقدم حديث ابن عمر وسكوته فى مجلس رسول الله ﷺ عندما وجه الرسول ﷺ سؤالا، فلم يجب، لحضور أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما .

وهذا نموذج لحبر الأمة ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ كيف كان أدبه فى طفولته، عندما طلب العلم من الصحابة : روى ابن كثير، عن البيهقى بسنده إلى عكرمة، قال : قال ابن عباس : لما قبض رسول الله ﷺ [3] قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثير، فقال: ياعجبًا لك يا بن

(١) التعليق الممجد على موطأ محمد للكنوى ـ رحمه الله (١/ ٢٣٩) .
(٢) أدب الإملاء والاستملاء (ص٣٦) .
(٣) تقدم قول ابن عباس بأن عمره عشر سنين لما قبض رسول الله ﷺ .

عباس! أترى الناس يفتقرون إليك، وفى الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال : فترك ذاك، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله، فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فآتى بابه، وهو قائل [1]، فأتوسد ردائى على بابه، يصفى الريح على من التراب، فيخرج فيرانى، فيقول : يابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى فآتيك، فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال : فأسأله عن الحديث، قال : فعاش هذا الرجل الأنصارى، حتى رآنى، وقد اجتمع حولى الناس يسألوننى، فيقول: هذا الفتى كان أعقل منى» [2].

وهذا الحسن البصرى ﷺ يوجه ابنه لأدب مجالس العلماء، فيقول : «يا بنى، إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثا، وإن طال حتى يمسك» .

وفى ختام المطاف نورد أدب الطفل الصحابى سمرة بن جندب فى حضرة رسول الله ﷺ وأدبه فى مجلسه : أخرج البخارى ومسلم عن أبى سعيد سمرة بن جندب ﷺ قال : «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعنى من الأول، إلا أن ها هنا رجالا، هم أسن منى» .

«ومن التطبيقات العلمية على توريث الطفل العلم مع الأدب، وتأدب الطفل مع أستاذه، ما ذكر فى طبقات الأدباء [3] أن الكسائى كان يؤدب الرشيد، واليزيدى النحوى كان يؤدب المأمون، والفراء كان يؤدب ولدى المأمون، وقيل: إنه نهض يوما لبعض حوائجه، فابتدرا إلى نعله ليقدماها له، فتنازعا أيهما يقدمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما واحدة، ورفع ذلك إلى المأمون، فاستدعاه فلما دخل عليه، قال له : من أعز الناس؟ قال : لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين! فقال المأمون : بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كل واحد

(١) أي : نائم بنومة القيلولة بين الظهر والعصر.
(٢) صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله تعالى (ط٢) (ص٣٧).
(٣) نقلا عن تاريخ الأدب العربى لمصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ ١/ ٣٩.

منهما أن يقدم له فردا! فقال : يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو أكسر نفسيهما عن شريفة حرصا عليها.. إلخ ».

وأورد المناوى فى شرحه على فيض القدير ١/ ٢٥ قصة لطيفة فى كيفية إلزام العلماء طلاب العلم الأدب، وأن الأدب مفتاح العلم والفهم والصلاح فقال: حكى عن الشمس الجوهرى أنه لما شرع فى الاشتغال بالعلم طاف على أكابر علماء بلده، فلم يعجبه منهم أحد، لحدة فهمه، حتى إذا جاء إلى شيخ الإسلام يحيى المناوى فجلس بين يديه، وفى ظنه أنه يلحقه بمن تقدم، فشرع فى القراءة، فتأمل الشيخ، فوجد إصبعا من أصابع رجله مكشوفا، فانتهره وقال له :

بحال أنت قليل الأدب، لا يجىء منك فى الطلب، غط إصبعك، واستعمل الأدب، فحم لوقته، وزال عنه ما كان يجده من الاستخفاف بالناس، ولزم دروسه، حتى صار رأسا عظيما فى العلم. انتهى .

٣ ـ الأدب الثالث : أدب الاحترام والتوقير :

أخرج الترمذى عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاء شيخ يريد النبى ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فقال النبى ﷺ : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»[١] .

وفى رواية أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر مرفوعًا : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»[٢].

وفى رواية أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت مرفوعا: « ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه» [٣].

(١) صحيح: انظر : صحيح الجامع رقم (٥٤٤٥) ورواه أحمد والطبرانى عن ابن عباس .
(٢) صحيح: انظر : صحيح الجامع رقم (٥٤٤٤) .
(٣) صحيح: انظر : صحيح الجامع رقم (٥٤٤٣) .

وروى أبو داود عن أبى موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه، والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط» .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : «أرانى فى المنام، أتسوك بسواك، فجاءنى رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر، فقيل لى : كبر، فدفعته إلى الأكبر » . رواه مسلم مسندا والبخارى تعليقا، وروى الشيخان عن أبى يحيى الأنصارى قال : انطلق عبد الله بن سهل، ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهى يومئذ صلح، فتفرقا، فأتى محيصة إلى عبد الله، وهو يتشحط فى دمه قتيلا، ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل وحويصة ابنا مسعود إلى النبى ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم، فقال عليه الصلاة والسلام : «كبر» أى : ليتكلم الأكبر سنا، وهو أحدث القوم، أى : عبد الرحمن .

وهكذا وجدنا ـ يا أخى ويا أختى ـ أهمية أدب الاحترام والتوقير للكبار وللعلماء، وتقديم الكبير للكلام، إلا إذا طلب من الصغير الكلام، أو كان المقام مقام سؤال .

٤ ـ الأدب الرابع : أدب الأخوة :

تقدم أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره، ورحمة الكبير للصغير، وهذا رسول الله ﷺ لا يسمح لأى أخ، سواء كان صغيرا أم كبيرا، أن يشهر أى نوع من السلاح لتخويف أخيه، وإلقاء الرعب فى قلبه :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» .

ويؤكد ﷺ للأبناء أن الأخ الكبير له منزلة خصوصية فى الإسلام، وما ذاك إلا لتحمله أعباء الأسرة، ومسؤولية تربية إخوته الصغار، ورعايته لهم :

روى الطبرانى عن كليب الجهنى ﷺ وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ:

«الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب»[1]، فإذا ما غرسا فى نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير، فإنه بذلك تسير الأسرة سيرا متوازنا، كل يعرف واجبه نحو الآخر، قبل أن يعرف حقه عليه.

٥ ـ الأدب الخامس : أدب الجار :

الجار له حقوق كبيرة فى الشريعة الإسلامية، وما ذلك إلا لتقوية روابط المجتمع المسلم، وقد كان للطفل آداب مع أطفال جيرانه، ندب إليها الرسول ﷺ الآباء، لتعويد أطفالهم عليها، من حسن التحسس بآلامه، وعدم إيذائه بأى طريقة من طرق الإيذاء، وفى مقدمتها عدم خروج الطفل وبيده شىء من الطعام يأكل منه، أو فكهة يتناولها، ليغيظ بها ولد الجار، الذى قد لا يملك والداه أن يشتريا له، أو أن يكون الجار فى ضائقة مالية، لا تمكنه من الشراء الفورى، وبذلك يتعود الطفل ألا يأكل فى الطريق، وإنما بالبيت؛ ليكون ذلك أدعى إلى الالتزام بالآداب العامة، فمما رواه الخرائطى والطبرانى عن عمرو بن شعيب قوله ﷺ : «وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل، فأدخلها سرا، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده» . فعدم إغاظة الطفل لجيرانه من الأطفال مطلب نبوى لكل طفل مسلم يحب رسول الله ﷺ، ولكل أب وأم فى أن يغرسا ذلك فى قلوب أطفالهم .

ما أعظم الإسلام بهذه الآداب، عندما يلتزم بها المسلمون، ويتعاملون بها، وفقنى الله وإياك لذلك. ومن عظمة هذه التوجيهات النبوية فى معاملة الجيران، ما أخبرنى به أحد الشباب الذين أسلموا عن سبب إسلامه قوله لى: معاملة جيراننا المسلمين لنا، المعاملة الحسنة الكريمة، وكأننى واحد من أسرتهم، عشت مع أطفالهم أثناء طفولتى، مما شجعنى على اعتناق الإسلام.

---

(١)قال الهيثمى : رواه الطبرانى، وفيه الواقدى، وهو ضعيف . انظر المجمع (٨/ ١٤٩) .

٦ ـ الأدب السادس : أدب الاستئذان :

أدب الاستئذان واجب الكبير والصغير، وله مكانة خاصة فى التشريع الإسلامى حتى خصه الله تعالى بآيات تتلى على مر الأجيال، وتعاقب الزمان، وله أهمية كبرى فى الحياة الاجتماعية والأسرية، لذلك كان يعرفه صغار الصحابة مثل أبى سعيد الخدرى فضلا عن كبارهم ـ ﷺ.

روى البخارى فى الأدب المفرد عن عبيد بن عمير أن أبا موسى الأشعرى استأذن على عمر بن الخطاب فلم يؤذن له، وكأنه (أى عمر) كان مشغولا، فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له قيل : قد رجع، فدعاه فقال : كنا نؤمر بذلك، فقال : تأتينى على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجلس الأنصار، فسألهم فقالوا : لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدرى، فذهب بأبى سعيد، فقال عمر : أخفى على من أمر رسول الله، ألهانى الصفق بالأسواق، يعنى الخروج إلى التجارة.

فنسى عمر أمير المؤمنين أنه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول، فعليه الرجوع من حيث أتى، دون غضب أو سخط، فكان الشاهد المذكر على سنة رسول الله ﷺ أبو سعيد الخدرى ـ ﷺ.

وقد درب القرآن الكريم الطفل على الاستئذان، فأمر الوالدين بتعليم الطفل الاستئذان، وتدرج فى أحكام الاستئذان، فقبل الاحتلام : يستأذن الطفل فى ثلاثة أوقات حرجة فى حياة الوالدين الزوجية، وهى : قبل الفجر، وعند الظهيرة، وبعد العشاء، أى : فى الأوقات التى يخلو فيها الوالدان إلى النوم، حيث يكون كل من الوالدين فى لباس خاص فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ

تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾ [النور] حتى إذا بلغ الطفل الحلم، وقرب منه، ودخل سن التكليف، أمر بالاستئذان فى كل آن، فى البيت وغيره، وكلما وجد أمامه الباب مغلقا، وإلى هذا أشارت الآية: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾﴾ [النور].

أ ـ كيف كان رسول الله ﷺ يستأذن؟

يتساءل المرء: ما هى وضعية الإنسان عندما يدق باب الآخرين يستأذن عليهم، هل يواجه الباب بوجهه، أم بظهره، أم بنصفه؟

وللإجابة على هذا السؤال، نورد الحديث التالى: أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن بسر أن النبى ﷺ إذا أتى بابًا يريد أن يستأذن لم يستقبله، جاء يمينا وشمالا، فإن أذن له وإلا انصرف. وفى رواية لأحمد: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بيت قوم أتاه مما يلى جداره، ولا يأتيه مستقبلا بابه.

وروى ابن ماجه بسند ضعيف عن أبى أيوب الأنصارى ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام، فما الاستئذان؟ قال: «يتكلم الرجل: تسبيحة، وتكبيرة، وتحميدة، ويتنحنح، ويؤذن أهل البيت».

وقد استأذن النبى ﷺ عندما كان صبيا من أمه حليمة السعدية للخروج من البيت، والذهاب إلى اللعب مع إخوته، كما تقدم معنا.

وعلى هذا سار السلف الصالح، يعلمون أبناءهم الاستئذان فى كل شىء حتى اللعب:

روى أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١١٥) أن الربيع بن خثيم جاءته ابنته، فقالت: يا

أبتاه، أذهب ألعب؟ قال : اذهبى، فقولى خيرا .

فهو لم يكتف بالإذن لها باللعب، وأتبعها بنصيحة ذهبية، وهى حفظ اللسان أثناء اللعب، وقول الخير، فى ساعة الرضا والغضب أثناء اللعب، وفى لحظة الربح والخسارة .

ب ـ رسول ﷺ القدوة يستأذن الأطفال :

إن الحق حق، لا يعرف كبيرا ولا صغيرا، واتباع السنة واجب على الجميع، مهما علت درجاتهم، وبلغت منازلهم، فهذه كلها يعرفها رسول الله ﷺ وهو قائد الأمة ومعلمها، يرشد الكبار والصغار فى الأمة كلها، ويعرفها حق الطفل : أخرج البخارى ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام : «أتأذن لى أن أعطى هؤلاء؟» فقال الغلام [1]: لا والله يا رسول الله! لا أوثر بنصيبى منك أحدا، فتله ـ أى : وضعه ـ رسول الله ﷺ فى يده .

٧ ـ الأدب السابع : أدب الطعام :

أخرج البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى عن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ فكانت يدى تطيش فى الصحفة، فقال لى رسول الله ﷺ : «يا غلام، سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك» [2]. فما زالت طعمتى بعد .

وفى رواية ابن أبى شيبة فى مصنفه (٩/ ٨٣) : «يا عمر، . . . يا بنى .. سم الله... الحديث».

وروى الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال : بعثت معى أم سليم بمكتل، فيه رطب،

---

(١) فى رواية أخرى ورد أنه : ابن عباس، وكان عن يساره أبو بكر ـ رضى الله عنهم أجمعين .

(٢) الأكل مما يلى الإنسان، هذا إذا كان الطعام مرقا، أما إذا كان عددا نحو الفاكهة وغيرها، فيجوز للإنسان أخذ ما ليس يليه، لأنه قد تكون أمامه حبة كبيرة وهو يريد الصغيرة، أو تكون أمامه تفاحة وهو يريد برتقالة، فلا ضير فى الانتقاء إذا كان الطعام جافا وعدديا، وصدق الله العظيم : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة] فالتخير يكون للفاكهة ولذوات العدد، والله أعلم.

إلى رسول الله ﷺ، فلم أجده، وخرج قريبا إلى مولى له، دعاه صنع له طعاما، قال : فأتيته فإذا هو يأكل، فدعانى لآكل معه، قال : وصنع له ثريدا بلحم وقرع، قال : وإذا هو يعجبه القرع، فجعلت أجمعه وأدنيه منه، قال: فلما طعم، رجع إلى منزله، قال : ووضعت المكتل بين يديه، قال : فجعل يأكل، ويقسم حتى فرغ من آخره .

وماذا تفعل إذا دخل عليك طفل وأنت تأكل؟

روى الطبرانى عن إسحاق بن يحيى قال : كنت مع عيسى بن طلحة فى المسجد، فدخل السائب بن يزيد، فبعثنى إليه فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ، فقل له: يقول لك عمى ابن طلحة : هل رأيت رسول الله؟ فذهبت إليه، فقلت : هل رأيت رسول الله ﷺ؟ فقال : نعم، رأيت رسول الله ﷺ، ودخلت عليه أنا وغلمة معى، فوجدناه يأكل تمرا فى قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضة، ومسح على رؤوسنا .

وقد نبه الإمام الغزالى فى الإحياء فى الجزء الثالث إلى آداب الطعام، التى يحتاج إليها الطفل، استوحاها من جملة الآداب الإسلامية، نضعها بين يديك .

أول ما يغلب عليه ـ أى الطفل ـ من الصفات شره الطعام، فينبغى أن يؤدب فيه مثل :

١ ـ ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه، ويقول: بسم الله .

٢ ـ ويأكل مما يليه .

٣ ـ ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره .

٤ ـ ولا يحدق إلى الطعام وإلى من يأكل .

٥ ـ لا يسرع فى الأكل .

٦ ـ ويمضغ الطعام مضغا جيدا .

٧ ـ ولا يوالى بين اللقم .

٨ ـ ولا يلطخ ثوبه ولا يديه .

٩ ـ ويعود الخيار والقفار فى بعض الأوقات، بحيث لا يرى الإدام حتما .

١٠ ـ ويقبح عنده كثرة الأكل، بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم .

١١ ـ وأن يذم بين يديه من يكثر الأكل، ويمدح الصبى المتأدب، القليل الأكل، ويحبب إليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به .

١٢ ـ والقناعة بالطعام الخشن .

٨ ـ الأدب الثامن : أدب مظهر الطفل :

هناك اهتمام من الرسول ﷺ بمظهر الطفل، سواء كان فى شعره وحلاقته، أو فى لون لباسه، وخروجه به فى الطريق .

أ ـ أدب الشعر والحلاقة :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : رأى رسول الله ﷺ صبيا قد حلق بعض شعر رأسه، وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال : «احلقوه كله، أو اتركوه كله» . رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم . وفى الصحيحين عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : نهى رسول الله ﷺ عن القزع[1] . علق ابن القيم فى أحكام المولود على الحديث بقوله : أن يحلق بعض رأس الصبى ويدع بعضه، والقزع أربعة أنواع :

أحدها : أن يحلق من رأسه مواضع، من ها هنا وها هنا، مأخوذ من تقزع السحاب، وهو تقطعه .

الثانى : أن يحلق وسطه، ويترك جوانبه، كما يفعله شمامسة النصارى .

---

(١) ورواه أبو حنيفة وأخرجه الستة إلا الترمذى . قاله الزبيدى فى كتاب (عقود الجواهر المنيفة) (٢/١٥٦) .

الثالث : أن يحلق جوانبه، ويترك وسطه، كما يفعله كثير من الأوباش والسُّفَّل .

الرابع : أن يحلق مقدمه، ويترك مؤخره، وهذا كله من القزع، والله أعلم .

وقد أشرف ﷺ على حلاقة بعض الأطفال شخصيا :

عن عبد الله بن جعفر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثا[1]، ثم أتاهم، فقال : «لا تبكوا على أخى بعد اليوم»، ثم قال : «ادعوا لى بنى أخى» فجىء بنا، كأننا أفراخ، فقال : « ادعوا لى الحلاق» فأمره، فحلق رؤوسنا . رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم .

أما شعر البنت فقد كان لها منه ﷺ نصيب فى التوجيه :

ففى الصحيحين عن أسماء رضى الله عنها أن امرأة سألت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله، أن ابنتى أصابتها الحصبة، فتمزق شعرها، وأنى زوجتها، أفأصل فيه؟ قال : «لعن الله الواصلة والموصولة»[2]. الواصلة : التى تصل شعرها، أو شعر غيرها بشعر آخر، والموصولة : التى يوصل شعرها .

وهكذا تجد شعر الطفل المسلم متميزا، عن باقى الأطفال، فلا يلهث وراء الموضات المتغيرة، ولا وراء الممثلين الفارغين، مبتعدا عن أى توجيه يخالف حبيبه ورسوله ﷺ .

ب ـ أدب لون اللباس :

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : رأى النبى ﷺ على ثوبين معصفرين، فقال : «أمك أمرتك بهذا؟» قلت : أغسلهما، قال :

(١) أى : بعد استشهاد ابن عمه جعفر بن أبى طالب فى غزوة مؤتة، فأراد ﷺ أن يفك حزن الأطفال على أبيهم، بعد مرور ثلاثة أيام، وأن ينبههم للعودة إلى الحياة الطبيعية بالحلاقة وغيرها. والله أعلم.
(٢) أما الوصل بشعر اصطناعي، أى : من غير كائن حي، فجائز، كما فى حاشية ابن عابدين الحنفي .

«بل احرقهما»، وفى رواية : «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» .

وروى الطبرانى ـ بإسناد حسن ـ عن سعيد بن تميم قال : قال لى النبى : «أين بنوك؟» قلت : ها هم أولاء، قال : «فائتنى بهم» قال : فأتيت أهلى، فألبستهم قمصا بيضاء، ثم أتيته... الحديث . ومما قاله الإمام الغزالى فى الإحياء الجزء الثالث، حول أدب لبس ثياب الصبى، توجيهات طيبة فقال :

«يحبب للصبيان الثياب البيض دون الملون والإبريسم، ويقرر عنده (أى : عند الصبى) أن ذلك شأن النساء والمخنثين، وأن الرجال يستنكفون منه، ويكره عليهم ذلك، ومهما رأى على صبى ثوب من إبريسم أو ملون، فينبغى أن يستنكر، ويذم ذلك» .

ويحفظ الصبى عن الصبيان الذين عودوا التنعم، والترفع، ولبس الثياب الفاخرة .

وشاهد عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ غلاما من الأنصار، وقد رأى ذيله مسترخيا، فقال له : يا غلام، ارفع إزارك، فإنه أتقى، وأنقى، وأبقى، ذكره ابن العربى فى أحكام القرآن (٤/ ١٨٨٧) .

ويشرح للطفل الأيام العصيبة الشديدة التى مرت على الوالدين، وماذا كان لباسهم فيها، ليتعرف الطفل إلى طبيعة الحياة وقسوتها وخشونتها :

روى الترمذى وقال: حديث صحيح عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه، قال: يا بنى، لو رأيتنا مع رسول الله، وأصابتنا السماء، لحسبت أن ريحنا ريح الضأن . قال الترمذى : ومعناه : أنه كان ثيابهم الصوف، فإذا أصابهم المطر يجىء من ثيابهم ريح الضأن. ورواه أبو داود وابن ماجه .

جـ ـ تحريم لبس الحرير على الذكور :

وبناء على القاعدة التى وضعها رسول الله ﷺ فى عدم متابعة الكفار فى اللباس كما فى الحديث السابق: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»، منذ أن يفتح الطفل

عينيه، فيعود سنة رسول الله ﷺ ويبعد عن الألبسة المحرمة، وهذا ما فعله الصحابى الجليل بكل جد وصرامة :

فقد روى الطبرانى عن عبد الله بن يزيد قال : كنا عند عبد الله يعنى ابن مسعود فجاء ابن له، عليه قميص من حرير، قال : من كساك؟ قال : أمى، قال : فشقه، قال : قل لأمك تكسوك غير هذا [1].

قال الإمام الكاسانى فى بدائع الصنائع [2] وهو يتكلم عن تحريم لبس الحرير على الرجال، قال ـ رحمه الله :

«ولا فرق بين الكبير والصغير فى الحرمة، بعد أن كان ذكرا، لأن النبى أراد هذا الحكم على الذكورة، بقوله عليه الصلاة والسلام : «هذان حرامان على ذكور أمتى»، إلا أن اللابس إذا كان صغيرا، فالإثم على من ألبسه، لاعليه، لأنه ليس من أهل التحريم عليه، كما إذا سقى خمرا، فشربها، كان الإثم على الساقى، لاعليه، كذا هنا».

وقال ابن القيم- رحمه الله: « يحرم على الوالى أن يلبسه الصبى»، لما ينشأ عليه من صفات أهل التأنيث.

٨ ـ الأدب التاسع: أدب الإنصات أثناء تلاوة القرآن:

روى ابن جبير وأسنده إلى الزهرى كما ذكر ابن كثير فى تفسيره(٢/ ٢٨٠) قال: نزلت هذه الاية فى فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئا قرأه، فنزلت : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

الأساس الخلقى الثانى : غرس خلق الصدق فى الطفل :

خلق الصدق أصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية، والتى تحتاج إلى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتم بتثبيت هذا الخلق فى الطفل، وهو يراقب

(١) رواه الطبرانى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. قاله الهيثمى فى المجمع (٥/ ١٤٤).
(٢) بدائع الصنائع (٥/ ١٣١) .

تصرفات الوالدين مع الطفل، وذلك لتجنب وقوع الوالدين فى رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة : أن الطفل إنسان، له حقوقه فى التعامل الإنسانى، ولا يجوز للوالدين خداعه بأية وسيلة كانت، واللامبالاة فى التعامل معه .

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوما، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا، فقالت : تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ : «ما أردت أن تعطيه؟» قالت : أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها : «أما إنك لو لم تعطه شيئا، كتبت عليك كذبة» .

وأخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من قال لصبى: تعال، هاك، أعطك، ولم يعطه، كتبت كذبة» . وأخرج الترمذى عن أبى الحوراء السعدى ربيعة بن شيبان، قال : قلت للحسين بن على ﷺ : ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال : حفظت منه : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» .

ومن آثار تعليم الطفل الصدق أنه منجاة للأب كذلك :

روى الإمام أحمد أن أبا قتادة ﷺ كان له على رجل دين، وكان يأتيه يتقاضاه : فيختبئ منه، فجاء ذات يوم، فخرج الصبى، فسأله عنه، فقال : نعم هو فى البيت يأكل خزيرة (حساء من دقيق ودسم) فناداه : يا فلان، اخرج، فقد أخبرت أنك هاهنا، فخرج إليه، فقال : ما يغيبك عنى؟ قال : إنى معسر، وليس عندى، قال : آلله إنك معسر؟ قال: نعم، فبكى أبو قتادة، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من نفس عن غريمه، أو محا عنه، كان فى ظل العرش يوم القيامة» . ورواه مسلم والدارمى .

وقد اهتم السلف الصالح بتركيز هذا الخلق، الذى يتفرع عنه الصدق فى الموعد، سواء وعد الكبار للصغار، أو وعد الأطفال لبعضهم البعض :

روى الإمام السمعانى[1] عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن عبد الله ﷺ أنه قال : «إياكم والروايا، روايا الكذب، فإن الكذب لا يصلح بالجد والهزل، ولا يعد أحدكم صبيه، ثم لا ينجز له» .

وروى كذلك عن يحيى : قال سليمان بن داود لابنه : يا بنى، إذا وعدت فلا تخلف فتستبدل بالمودة بغضا .

ومن القصص البديعة فى التزام الطفل الصدق، وتأثيره فى الكبار، بل والتوبة على يد ذلك الصغير الصادق ، أكبر عتاولة قطاع الطريق فى عصره، مع عصابته، ما حصل للولى العارف ـ الداعية الذى خرج مائة ألف داعية، وأسلم على يديه اليهود والنصارى، واعتمد نور الدين زنكى على تلامذته فى جهاده مع الصليبيين ـ الشيخ الإمام عبد القادر الجيلانى ـ قدس سره ـ كما قاله ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ أنه عندما غادر جيلان مودعا أمه التى ربته على خلق الصدق، وأعطته أربعين دينارا، فلما سارت القافلة، اعترضتها جماعة من اللصوص، من قطاع الطريق، وبدأ اللص يسأل المسافر عما لديه من نقود فنكرها عليه، ثم يستخرجها منه، حتى إذا وصل إلى الغلام عبد القادر الجيلانى، سأله وهو يعبر إلى آخر، ظنا منه بجوابه بالنفى، فإذا بالغلام الصادق يخبره بأن معه أربعين دينارا، فيعود إليه اللص، ويعيد عليه السؤال، ويعاود الغلام الصدق، فيطلبها منه، فيستخرجها الغلام من كمه تحت إبطيه، فيزداد اللص عجبا لصدقه وأمانته، وطريقة مخبئه للدنانير، فيسأله عن سبب صدقه؟ فيجاوب الغلام : إن أمى أمرتنى بالصدق وأعطيتها العهد على ذلك، فيأخذه إلى رئيس اللصوص، ويعاود عليه الأسئلة، فيقول رئيس اللصوص : يارب، إن هذا الغلام يصدق فى أحلك الظروف، فأشهدك أننى تبت إليك، فتاب وتاب اللصوص معه، وأرجعوا للقافلة ما أخذوه منهم[2].

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص٤٠) .

(٢) انظر (الشيخ عبد القادر الجيلانى) سلسلة أعلام المسلمين، تأليف الدكتور عبد الرزاق الكيلانى، طبع دار القلم.

إن الصدق نور يضيء ظلم النفوس المريضة، ويهدى القلوب المضطربة، ويرشد العقول الشاردة عن الله، اللهم وفقنا إلى الصدق فى الأمور كلها .

الأساس الخلقى الثالث : غرس خلق حفظ الأسرار فى الطفل :

عنى رسول الله ﷺ بتنشئة الأطفال على خلق كتم الأسرار؛ لأنه يمثل صلاح الطفل فى حاله ومستقبله، وسلامة الأسرة وانطلاقها، والمحافظة على المجتمع وبنائه.

إن الطفل الذى يتعود كتم الأسرار، ينشأ قوى الإرادة، رابط الجأش، ضابط اللسان، فتنشأ عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس، بحفظ أسرار بعضهم البعض.

فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن جعفر ـ رضى الله عنهما ـ قال : «أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إلى حديثًا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته: هدف، أو حائش نخل» .

وقد تقدم معنا حديث أنس ﷺ وخدمته للنبى ﷺ وتأخره على أمه فقالت: ما أبطأك؟ قلت : بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجة، قالت : ما هى؟ قلت: إنها سر، فقالت المؤمنة الواعية، الذكية، البصيرة، لتعطى درسا للأمهات فى تعليم الطفل حفظ الأسرار، قالت له : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا .

الأساس الخلقى الرابع : غرس خلق الأمانة فى الطفل :

الأمانة خلق أصيل، اتصف به سيدنا محمد ﷺ من عهد الطفولة إلى عهد الرسالة، حتى وصفه المشركون : «الصادق الأمين» وفى ذلك عبرة للطفل المسلم، أن يقتدى برسول الله ﷺ لتساعده فيما بعد على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . وقد حدد ﷺ مسؤولية الولد فى مال أبيه، فيكون أمينا على القيام به، بلا إسراف ولا تبذير، كما فى الصحيح: «والولد راع فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته» [1].

(١) انظر : السياسة الشرعية لابن تيمية ـ رحمه الله .

ونلحظ اهتمام الرسول ﷺ بخلق الأمانة، وتأصيله فى الطفل، إنه لم يرض من الطفل خطأه فى هذا الركن، وإنما عاقبه، عندما أخل به، وشد أذن الطفل .

قال النووى فى الأذكار : روينا فى كتاب ابن السنى عن عبد الله بن بسر الصحابى ﷺ قال : بعثتنى أمى إلى رسول الله بقطف من عنب، فأكلت منه، قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت به، أخذ بأذنى، وقال : «ياغدر!» .

الأساس الخلقى الخامس : غرس خلق سلامة الصدر من الأحقاد فى الطفل :

إن سلامة الصدر من الأحقاد تحقق توازنا نفسيا لدى الإنسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع، وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية، إلى أعلى قممها.

وقد وجه النبى ﷺ نداء للطفل الناشئ أنس بن مالك، أن يغسل أدران نفسه، صباحا ومساء، فيسامح من أساء إليه، ويفرغ قلبه من أى بقايا من وساوس الشيطان ونفثه، فى الرؤوس والنفوس، فلنسمع سويا إلى هذا النداء العجيب العظيم.

أخرج الترمذى وقال : حديث حسن غريب: عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لى : «يا بنى، إن قدرت أن تصبح وتمسى، وليس فى قلبك غش لأحد، فافعل، ثم قال : يا بنى، وذلك من سنتى، ومن أحيا سنتى فقد أحيانى، ومن أحيانى كان معى فى الجنة» . فالجنة والصحبة مع رسول الله ﷺ ، لمن استطاع أن يكون قلبه سليما من الغش، والحقد، والحسد، واللؤم .

الأساس الخلقى السادس : غرس خلق حسن الوفاء بالعهد فى الطفل :

عن عبد الله بن أبى الحمساء ﷺ قال : بايعت النبى ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها فى مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت، فإذا هو فى مكانه! فقال ﷺ :

«يا فتى، لقد شققت علىَّ، أنا هنا منذ ثلاث، أنتظرك» .

نلاحظ أن رسول ﷺ قد علم ذلك الفتى الوفاء بالعهد عمليا، ودون إلقاء المحاضرات الطويلة، وإنما بموقف عملى، وكلام قليل مؤثر، بحيث أثر فى نفس ذلك الفتى، فيرونه فى كبره، أى : إن تأثير السلوك العملى، والقدوة الحسنة، هما أساس المنهج التربوى للصغير والكبير، وعدم الاستهانة بالسلوك أمام الصغار لصغرهم، فإن ذلك لا يربى ولا يعلم شيئا .

إن الطفل يزداد احتراما لوالديه وللكبار لمن يلتزم فى سلوكه بمواعظه، وأن يطابق أقواله أفعاله، بل إن الفعل والسلوك أقوى تأثيرا، وأدوم فى النفس، وأدعى لالتزام الطفل بذلك السلوك .

خاتمة : مثال عملى من خلق رسول الله ﷺ مع الأطفال :

فى ختام هذا المطاف نضع بين يدك نموذج رسول الله ﷺ القائد القدوة للأمة كلها، وكيف كان يتعامل مع الأطفال، يأمرهم، وينهاهم، يمازحهم، ويلحق بهم، يقف خلف الطفل ويبسم له، لا يغضب فى وجههم، ولا يعاتبهم، يرسخ عقيدة القضاء والقدر عمليا فى نفوسهم، ونأتى على رواية الحديث بشتى طرقه، لما تمتع فى كل منها من زيادة نافعة .

فقد أخرج الإمام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك ﷺ قال : خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال لى: أف قط، ولا قال لشىء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا .

وفى رواية مسلم : «كان النبى ﷺ من أحسن الناس خلقا فأرسلنى يوما لحاجة، فقلت : والله لا أذهب، وفى نفسى أن أذهب، لما أمرنى به نبى الله ﷺ فخرجت حتى أمر على الصبيان، وهم يلعبون فى السوق، فإذا برسول الله ﷺ بقفاى من ورائى،

فنظرت إليه وهو يضحك، فقال : «أنس: ذهبت حيث أمرتك؟» قال : قلت : نعم؛ أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله، لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته : لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا» .

وفى رواية أحمد قال أنس : خدمت النبى ﷺ عشر سنين، فما أمرنى بأمر فتوانيت عنه، أو ضيعته، فلامنى، فإن لامنى أحد من أهل بيته إلا قال : «دعوه، فلو قدر، أو قال : لو قضى، أن يكون كان» .

وهذا إن دل فإنما يدل على اهتمامه ﷺ ببناء أخلاق الأطفال عمليا، وبالقدوة الحسنة لهم، فينشؤون أرسخ خلقا، وأثبت عودا أمام التحديات المادية، التى تنتظرهم فى واقع المجتمع، وفى حياة الناس، فلا يفرطون بأخلاقهم الإسلامية أمام عواصف التيارات المنحرفة، التى يمارسها المجتمع الجاهلى على النفوس المؤمنة فى عصرنا الحاضر .

وهذا نموذج آخر من أخلاقه ﷺ مع البنات :

روى البخارى عن أم خالد بنت خالد قالت : أتى النبى ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال : «من ترون أن نكسو هذه؟ ». فسكت القوم، فقال : «ائتونى بأم خالد، فأتى بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال : «أبلى، وأخلقى» . وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال : «يا أم خالد! هذا سناه» وسناه فى الحبشية يعنى حسن . رواه البخارى فى كتاب اللباس ـ باب الخميصة السوداء.

وفى رواية له أيضا ـ فى كتاب الجهاد باب من تكلم بالفارسية ـ عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله ﷺ مع أبى، وعلى قميص أصفر، قال رسول الله : «سنه.. سنه»، قال عبد الله بن المبارك : وهى فى الحبشية : حسنة .. حسنة .

قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرنى أبى، قال رسول الله ﷺ : «وادعها» . ثم قال ﷺ : «أبلى، وأخلقى، ثم أبلى وأخلقى،ثم أبلى وأخلقى» . قال

عبد الله بن المبارك : هو من رواة سند الحديث : فبقيت حتى ذكر انتهى .

قال ابن حجر : أى ذكر الراوى من بقائها أمدا طويلا، وذكر بعضهم دكن أى اتسخ، ثم قال ابن حجر : قال أبو عبد الله المصنف (البخارى) : لم تعش امرأة مثل ما عاشت هذه، يعنى : أم خالد .

وفى رواية ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٤٠٤) تفصيل وزيادة، فأورد بسنده إلى سعيد بن عمرو قال : أقبل خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد، حتى دخلا على رسول الله ﷺ منصرفهم من الحبشة، فقال خالد : يا رسول الله، فما بالنا بدر لم نشهدها ؟ فقال ﷺ: «يا خالد، أما ترضى أن يكون للناس هجرة، ولكم هجرتان؟».

قال : بلى، يا رسول الله، قال : «فذاك لكم» . قال : ومع خالد ابنة (وهى كانت تكنى بأم خالد) عليها قميص أصفر، فقال لها : اذهبى فسلمى على رسول اللهﷺ، قال : فانكبت على النبىﷺ، فجعلت تريه قميصها، فقال النبى ﷺ : «سنه، سنه» قال: حسن، بلغة الحبشة: « أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى» .

ومن هذا الحديث النبوى الواقعى والعملى نستنتج الملاحظات التربوية التالية :

١ ـ اهتمام الرسول ﷺ بالمهاجرين وأولادهم، واستقبالهم بالفرحة والبهجة والسرور عند عودتهم، ووعدهم بالأجر المضاعف عند الله تعالى .

٢ـ إهداء الرسول ﷺ البنات الثياب الجميلة، وتخصيصه بالبنت المهاجرة زيادة رعاية .

٣ ـ اهتمامه ﷺ بالأطفال وحفظه لأسمائهم .

٤ ـ حرص الأب فى توجيه أطفاله للسلام على العلماء والصالحين .

٥ـ جواز لعب الصغير بجسد الكبير ولحيته وشعره وخده وما إلى ذلك، ما عدا أماكن العورة .

٦ـ يسمح للصغير ما لا يسمح للكبير .

٧ـ مشاركة الرسول ﷺ فرحة الصغير بلباسه الجميل .

٨ـ دعاء الرسول ﷺ للصغير بما يفرح به ويحبه بالبركة وطول العمر .

٩ـ خطاب الرسول ﷺ الصغيرة بما تفهم من لغتها الحبشية حيث ولدت فى دار الهجرة فى الحبشة، ونشأت فيها مع والديها المهاجرين .

١٠ـ قال ابن بطال : إن الممازحة بالقول والفعل مع الصغيرة إنما يقصد به التأنيس والتقبيل من جملة ذلك . الفتح (١٠/ ٣٤٩) .

١١ـ تكرار الدعاء للصغير زيادة فى إدخال السرور على قلبه .

١٢ـ التواضع للصغير والاهتمام به عند حضوره .

١٣ـ دعوة الآباء لإحضار الأبناء إلى المجالس الصالحة .

١٤ـ تنبيه الآباء للأبناء باحترام كبار المجلس، وعدم إزعاجهم إلا إذا رغب الكبار بذلك .

١٥ـ مساعدة أطفال المهاجرين، والمسارعة لكسوتهم، وإصلاح شأنهم .

١٦ـ دعوة ولى الأمر لإهداء أبناء المهاجرين وغيرهم .

١٧ـ جواز لبس البنت للباس الملون .

١٨ـ تكنية البنات منذ طفولتهن، ومناداتهن بتلك الكنية «أم خالد» .

١٩ـ حمل الصغير إلى مجالس الكبار «فأتى بها تحمل» .

٢٠ـ مناداة الصغير والصغيرة بالكنية تحبيبا لقلوبهم «يا أم خالد!» .

٢١ـ الثناء على لباس الهدية أثناء إعطائها للصغير لتزداد بهجة وفرحة : «هذا سنه» «هذا سناه» أى : حسن .

٢٢ـ حصول البركة للصغير فى كبره، لمعاشرته الصالحين فى طفولته ودعائهم له،

حيث عاشت البنت عمرا مديدا، وعاشت ثيابها معها حتى تغير لونها.

٢٣ـ التفاعل مع الصغير أثناء مداعبته، والاهتمام بما يعرضه من أشياء « فانكبت على النبى ﷺ فجعلت تريه قميصها» .

٢٤ـ إحضار البنات الصغار إلى مجالس الرجال، وإلى المسجد، وتعرف الناس على تلك البنات .

٢٥ـ مشاركة ولى الأمر للرعية فى شأن توزيع الهدايا على الأطفال ومن أحق بها «من ترون أن نكسو هذه؟» .

٢٦ـ أدب الحاضرين بالسكوت مع ولى الأمر عندما تكون الهدايا الموزعة على الأطفال قليلة «فسكت القوم» .

٢٧ـ الاهتمام بحفظ أسماء الأطفال : « ائتونى بأم خالد» .

٢٨ـ إلباس ولى الأمر بيده للطفل العائد من هجرته، زيادة فى إفراحه، وإدخال السرور إلى قلبه «فأخذ الخميصة بيده فألبسها» .

٢٩ـ تصحيح الأب خطأ ابنته إذا أخطأت فى حق الكبار (فزبرنى أبى ...) .

٣٠ ـ مبادرة الكبير لتخفيف ردع الأب لابنته المخطئة . «قال : وادعها» نلاحظ أن التربية النبوية للطفل تربية عملية واقعية، تمتزج فيها التربية العاطفية النفسية بالتربية الاجتماعية، وتختلطان معا فى التربية العبادية، وكذلك التربية البدنية، ويتفاعل الجمع فى تكوين التربية العلمية، كل ذلك يحصل فى كل مشهد وموقف نبوى مع طفل من أطفال المسلمين سواء كان الطفل سبطا من أسباطه كالحسن والحسين، أو طفلا من أقربائه كعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر، أو من أولاد المهاجرين كأم خالد، أو من أبناء الأنصار كأبى عمير، لهذا كان المنهج التربوى النبوى للطفل منهجا عمليا وواقعيا، وليس نظريات علمية

فقط وليس تجارب واختبارات، إنه يشع بالحيوية، وينير الطريق أمام الآباء والمربين، كيف يعيشون مع الأطفال فيسعدوا ويسعدوا .

وفقنى الله وإياك إلى الخلق الحسن، والصبر الجميل، والحلم الكبير، والنفس السمحاء، إنه سميع مجيب .

obeikandl.com